الشعراء ذوو الألقاب

-٥-

بقلم : الاستاذ محمد علي المرسي

٧— النابغة الزبياني

هو زياد بن معاوية ، ويكنى أبا أمامة ، وإنما لقب بالنابغة لانه لم يقل الشعر حتى احتنك ، أو طعن في السن ، ففجأ الناس بشعر بذّ به الشعراء ، وكان له منه مادة لا تنقطع ، فشبهوه بالماء النابع .

فكان أحسن الناس ديباجة ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتاً وليس في شعره أي تكلف . وكان أحد فحول الشعراء الثلاثة ؛ وهم : أمرؤ القيس وهو وزهير ، الا أنه يمتاز عن صاحبيه ببديع الكناية وقلة التكلف .

فعن الشعبي قال : دخلت على عبد الملك وعنده رجل لا أعرفه فالتفت اليه عبد الملك فقال : من أشعر الناس ؟ قال : أنا . فأظلم ما بيني وبينه فقلت من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فعجب عبد الملك من عجلتي ! فقال : هذا الأخطل فقلت : أشعر منه الذي يقول .

هذا غلام حسن وجهه ... مستقبل الخير سريع التمام
للحارث الاكبر والحارث الاصغر والاعرج خير الأنام
ثم لهند ولهند وقد ينجح في الروضات ماء الغمام
خمسة آباؤهم ما هم ؟ ... هم خير من يشرب صفو المدام

فقال الاخطل : صدق يا أمير المؤمنين النابغة أشعر مني ! فقال لي عبد الملك ما تقول في النابغة ؟ قلت : قد فضله عمر بن الخطاب على الشعراء غير مرة ، خرج ويابه وفد غطفان فقال : أي شعرائكم الذي يقول :

اتيتك عارياً خلقاً ثيابي ... على خوف تظن بي الظنون
فألقيت الامانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

قالوا : النابغة . قال : فاي شعرائكم الذي يقول :

حلفت ولم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا : النابغة . قال : فاي شعرائكم الذي يقول :

فانك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا : النابغة . قال : هذا أشعر شعرائكم

ومن الرواة وذوي البصر بالشعر من يجعل الاعشى رابعاً لاولئك الشعراء الثلاثة فيقولون : أشعر الناس أمرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى إذا طرب .

ولكن النابغة كان يقوي (١) في شعره أول الامر ، ويقول إن في شعري عاهة لا أدريها ! ومن ذلك قوله في قصيدة « المتجردة » زوج النعمان بن المنذر

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد
بمخضب رخص كان بنانه ... عنم يكاد من اللطافة يعقد

وعيب ذلك عليه ، واسموه من شعره في غناء :

من آل مية رائح أو مغتدي ... عجلان ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح أن رحلتنا غداً ... وبذاك خبرنا الغداف الاسود

ففطن لذلك ولم يعد اليه .

على أن الناس لم يغنوا بشعر احد في الجاهلية وصدر الاسلام بمثل ما غنوا به من شعره . وقد اجاد في وصف ليل الخائف ، واعتذار الجاني ، ومدح المنعم إجادة لا يتعلق بها درك ... وقد عرف شعراء العرب له تلك المكانة السامية في الشعر فقدموه في عكاظ (٢) فكانت تضرب له فيها قبة حمراء وتأتيه الشعراء فتنشده اشعارها (٣) وتحتكم اليه في الخصومات الادبية ، فكان يقضي بينهم موفق القضاء مطاع الحكم (٤) .

وكان مع علو منزلته وسمو مكانته بين العرب يتكسب بالشعر ويتقبل الصلات ، فحط ذلك من قدره وطأطأ من إشرافه . واتصل بالنعمان بن المنذر فأجزل له عطاءه واسبغ عليه نعمته ؛ وجعله من المقربين . ويروي ان حسان بن ثابت قال : وفدت على النعمان بن المنذر فمدحته فأجازني واكرمني ، فاني لجالس عنده ذات يوم إذ صوت من خلف القبة يقول :

---

(١) الاقواء : مخالفة القوافي برفع بيت وجر آخر

[٢] تاريخ الادب العربي للزيات

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة « في ترجمة الخنساء »

[٤] تاريخ الادب العربي « للزيات »

أنام أم يسمع رب القبة ... يا أوهب الناس لعنس صلبه
ضرابة بالاشفر الاذبة ... ذات نجاء في يديها جذبه

قال : فدخل « النابغة » فانشده قصيدته التي على الياء ، والتي على العين ، وكان يوم ترد فيه النعم السود ، ولم يكن بأرض العرب بعير اسود إلا له فأمر له بمائة بعير معها رعاتها ومظالها وكلابها ، فلم ادر علام احسده : على جودة شعره ، ام على جزيل عطيته ؟

وما زال النابغة عند النعمان على هذه الحال ، حتى غاض ذلك بعض منافسيه واحنقهم ، واخذ الحسد يدب في نفوسهم والغيرة تأكل قلوبهم ، فسعوا به عنده ، وكانت قصيدته في وصف المتجردة زوج الملك خير دليل يقدمونه له على صدق سعايتهم عنده ، فوقرت هذه السعاية في نفس النعمان فتوعده ؛ فهرب الشاعر بنفسه الى الشام واتصل بعمرو بن الحارث الاصغر عدو النعمان ومنافسه ومدحه بقصيدته الخالدة التي مطلعها :—

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وفيها يقول :

علي لعمرو نعمة بعد نعمة ... لوالده ليست بذات عقارب
وثقت له بالنصر اذ قيل قد غزت ... كتائب من غسان غير أشائب
إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم ... عصائب طير تهتدي بعصائب
فهم يتساقون المنية بينهم ... بأيديهم بيض رقاق المضارب
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب [١]
لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم ... من الجود والاحلام غير عوازب

وما زال عند بني غسان « يصانعهم بالدر ويصلونه بالذهب حتى بلغه أن النعمان عليل » [٢] فرجع يعتذر اليه ، وكان من اعتذاره اليه أن قال :

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي تستك منها المسامع
أتاك امرؤ مستبطن لي بغضة ... له من عدو مثل ذلك شافع
أتاك يقول هلهل النسج كاذب ... ولم يأت بالحق الذي هو ناصع
أتاك يقول لم اكن لاقوله ... ولو كبلت في ساعدي الجوامع
حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ... وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع؟

وفيها يقول له :

فانك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت ان المنتأى عنك واسع

فرضي عنه الملك واعاده الى سابق مكانته ، وبقي على تلك الحال حتى كبر وهرم ، ومكث زماناً لا يقول الشعر ، فأمر مرة بغسل ثيابه ، وعصب حاجبيه على عينيه ، فلما نظر الى الناس قال :

المرء يأمل ان يعيش ... وطول عيش ما يضره
تفنى بشاشته ويبقى ... بعد حلو العيش مره
وتخونه الايام حتى ... لا يرى شيئاً يسره
كم شامت بي إن هلكت ... وقائل لله دره «١»

وهلك قبل ان يهتر . ومما يتمثل به من شعره قوله :

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ... ولا قرار على زأر من الاسد (١)

وقوله :

واستبق ودك للصديق ولا تكن
قتباً يعض بغارب ملحاحا (٣)

وقوله :

ومن عصاك فعاقبه معاقبة ... تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

وقوله في العفة ؛ وهو أحسن ما قيل فيها :

رقاق النعال طيب حجراتهم ... يحيون بالريحان يوم السباسب

العمارة :—

محمد علي العرسي

(١) تروى هذه الابيات للنابغة الجعدي
(٢) أبو قابوس كنية النعمان بن المنذر
[٣] القتب : الرحل . والغارب : ما بين سنام البعير وعنقه

البيان : العدد ١٨ التاريخ ١٥/٣/٤٧

اعلان

كل من يدعي بحق أوله علاقة بارض الدار أو ببنيتها ت ١٩١٠ الكائنة في محلة براق الامير غازي في النجف البالغة مساحتها ٥٩/١٦ متراً مربعا المحدودة (الشمال الشرقي والشمال الغربي دار تحت ادعاء هاشم بن حساني ت ٣٠٠٦ الجنوب الغربي دار تحت ادعاء نشمية ت ١٩١٢ الجنوب الشرقي طريق العام) عليه ان يراجع هذه الدائرة مستصحباً مالديه من الاوراق المثبتة والمستمسكات الرسمية من تاريخه لمرور ثلاثين يوما وإلا ستسجل الدار المذكورة تفويضا وتصحيحاً باسم صاحب المنشئات العراقي صاحب بن كريم الحاج صالح ولاجله بادرنا باعلان الكيفية .

٣-٣ مامور طابو النجف